Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences 2 E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq

Vol. 18 No. 3 July 2026, pp.26-43
https://doi.org/10.31185/lark.5556

Manifestations of Paradox in the Poetry of Duraid ibn al-Simma al-Jashmi

A.M.D. Jaber Khamis Abbas
College of Basic Education / University of Sumer

Received Apr. 6, 2026 | Revised Jun.9, 2026 | Accepted Jun9, 2026 | OnlineJul.1, 2026

ABSTRACT

Paradox has become a central focus in modern literary and critical studies, as writers and poets use it to express ideas in an artistic and aesthetic manner. Beyond its rhetorical function, paradox operates as a key literary device, revealing contradictions between appearance and reality, or between expression and intended meaning. It deepens interpretation, stimulates reflection, and engages readers in constructing meaning by highlighting inherent tensions within the text. Paradox also enhances the poetic quality of literature through its conciseness and density.

This study shows that paradox is a vital element in Duraid ibn al-Simma's poetry, structuring his work around opposition and semantic tension. It enriches meaning and encourages readers to move beyond surface interpretations toward deeper contemplation. Furthermore, the conditions of pre-Islamic Arab life, including wars, conflicts, and raids, shaped this expressive technique, making paradox an effective tool for conveying the poet's lived experience and his response to the challenges and uncertainties of life

Keywords: paradox, pre-Islamic poetry, duraid ibn al simma contradiction, reader

تجليات المفارقة في شعر دريد بن الصمة الجشمي دراسة تحليلية

أ. م.د. جابر خميس عباس
كلية التربية الأساسية/ جامعة سومر

الملخص

يُعدُّ موضوع المفارقة من الموضوعات الحديثة التي حُظيت باهتمام كبير في الدراسات النقدية والأدبية، إذ يلجأ إليها الأدباء والمبدعون للتعبير عن أفكارهم بطريقة فنية أو جمالية . ولا تقتصر المفارقة على كونها أسلوباً بلاغياً، بل تُعدُّ من أبرز الأساليب الفنية، إذ تقوم على التعبير عن المعنى بطريقة غير مباشرة تكشف عن التناقض أو التباين بين الظاهر والباطن أو بين القول ومقصده الحقيقي، وتكمنُ أهميتها في قدرتها على تعميق المعنى وإثارة التأمل، وإشراك القارئ في عملية إنتاج المعنى من خلال كشف التناقض أو التضاد الكامن في النص، كما تسهم المفارقة في إثراء الخطاب الأدبي بما تمنحه من شعرية قائمة على الاختزال والتكثيف .

وقد أظهر البحث أن المفارقة في شعر دريد بن الصمة شكّلت عنصراً فاعلاً في تشكيل تجربته الشعرية ، إذ قامت تلك التجربة على بنية من التضاد والتوتر الدلالي، تُغني المعنى وتدفع المتلقي إلى تجاوز الظاهر نحو أفق أعمق من التأمل. كما بيّن البحث أن طبيعة الحياة العربية قبل الإسلام، بما فيها من حروب وصراعات وغزوات، أسهمت في تشكيل هذا الأسلوب التعبيري ، فجاءت المفارقة وسيلة للتعبير عن تجربة الشاعر ومعايشته لتقلبات الدهر وقسوة الحياة ،مما منح خطابه الشعري بعدًا تأمليًا وإنسانيا عميقا.

الكلمات المفتاحية: المفارقة ، الشعر الجاهلي ،دريد بن الصمة ، التناقض ، المتلقي

المقدمة

تُعدُّ المفارقة من المفاهيم النقدية التي اتسعت دلالاتها وتشعبت مجالاتها، لاتصالها بعدد من الحقول المعرفية والفكرية،فهي في الفلسفة ترتبط بالوعي والجدل، وفي علم الاجتماع تعبر عن طبيعة العلاقات والتناقضات الانسانية، أما في الادب فتتجلى بوصفها بنية تعبيرية تقوم على التوتر بين الظاهر والمضمر، وتسهم في إنتاج المعنى وتعميق الدلالة، وقد حظيت المفارقة باهتمام واسع لدى

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

النقاد والباحثين عربا وغربيين ،تنظيرًا وتطبيقًا ،ولا سيما في الشعر الذي يعد أكثر الاجناس الادبية قدرة على استثمار طاقاتها الفنية والفكرية

وتؤدي المفارقة في النص الشعري دورا يتجاوز حدود التشكيل الجمالي، إذ تسهم في الكشف عن رؤية الشاعر وموقفه من العالم عبر بناء قائم على الجمع بين المتناقضات، بما يحدث توترا دلاليا، يدفع المتلقي الى التأمل والتفاعل مع المعنى العميق للنص، ومن ثم تغدو المفارقة أداة فنية وفكرية قادرة على استيعاب تعقيدات التجربة الانسانية وتمثيل أبعادها النفسية والوجودية.

وقد حظيت المفارقة باهتمام عدد من الدراسات النقدية السابقة التي تناولتها في الشعر العربي القديم من زوايا فنية ودلالية متعددة ، ومن هذه الدراسات دراسة الدكتور أحمد أسماعيل النعيمي(2002) الموسومة ب المفارقة في الشعر العربي قبل الاسلام ، ودراسة الدكتور حسني عبدالجليل(2005) يوسف الموسومة ب المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، كذلك دراسة الباحثة ملاذ ناطق هاشم (2004)الموسومة ب المفارقة في الشعر الجاهلي ،فضلا عن دراسات أكاديمية أخرى تناولت المفارقة في الشعر العربي القديم ،غير أن شعر دريد بن الصمة لم يحظ في حدود اطلاع الباحث بدراسة مستقلة تعنى بتجليات المفارقة فيه وأبعادها الفنية

ينطلق البحث من محاولة الكشف عن تجليات المفارقة في شعر دريد بن الصمة ، وبيان الكيفية التي أسهمت بها في بناء الرؤية الشعرية وتشكيل الدلالة ،ويسعى البحث الى الإجابة عن عدد من التساؤلات ، من أبرزها ما أبرز أنماط المفارقة في شعره؟ وكيف تجلت فنيا وفكريا داخل النص الشعري؟ وإلى أي مدى استطاعت التعبير عن التوترات النفسية والوجودية التي طبعت تجربة الشاعر ورؤيته للحياة ؟ واعتمادا على ذلك يقوم البحث على شقين، الأول : يعنى بتأصل مفهوم المفارقة وبيان نشأتها وعناصرها ووظائفها في الخطاب الأدبي. والثاني يسعى إلى استجلاء تجليات المفارقة في شعر دريد بن الصمة الجشمي ،ورصد أبرز المحاولات الدلالية التي أعتمدها الشاعر في بنائها ،مع بيان الدور الذي تؤديه في تشكيل البنية الفنية للقصيدة ، وتعميق أبعادها الفكرية والجمالية .

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع تجليات المفارقة في شعر دريد بن الصمة ، ورصد أنماطها الفنية والدلالية ،ثم تحليلها في ضوء السياق الشعري والرؤية الفكرية للشاعر، كما أفاد البحث من بعض آليات المنهج الأسلوبي في قراءة البنى التعبيرية واللغوية التي أسهمت في تشكيل المفارقة وإبراز أثرها الجمالي والدلالي.

مفهوم المفارقة في اللغة والاصطلاح:

أولا :المفارقة في اللغة

تعود لفظة (مفارقة) في المعجمات اللغوية العربية إلى الجذر الثلاثي (فَرَقَ)، ومصدرها (فِرْق)، والفَرْقُ في اللغة بخلاف الجمع، فرَّقه يفرق فرقا، فهو إذاً تفريق بين الشيئين ، ومنه مفرق الطريق، أي متشعبه الذي يتشعب منه طريق آخر، ويقال: فارق الشيء مفارقة، وفراقاً أي باينه ، وتفرّق القوم : فارق بعضهم بعضاً.(ابن منظور،1992، ص 120/5).

وفي معجم اللغة العربية المعاصر، نجد أنّ مصطلح (مفارقة) مشتق من "فارق يفارق مفارقة وفراقاً فارق فلانٌ فلاناً، أي ابتعد عنه باعده فانفصل عنه وتركه ".(عمر، 2008، مج 3، ص1697).

ولا يكاد يخرج معنى المفارقة اللغوي في بقية المعجمات العربية القديمة منها والحديثة عن معنى التفرق والتباين والتباعد والانفصال .

ثانيا : المفارقة في الاصطلاح

في المنظور العربي :

لم يسجل مصطلح (مفارقة) حضوراً في النقد الأدبي القديم بوصفه مصطلحاً أدبياً أو بلاغياً أو نقدياً، وعلى الرغم من عدم وجود مصطلح متعارف عليه في تراثنا الأدبي إلّا أنها موجودة بصفة مفهوم ، أو نوع يقترب منها كثيرا ، إذا ارتبطت بالمفارقة

الشعرية العربية الأولى، مثل قصائد المهلهل بن ربيعة في ذكر وقائعه بعد مقتل أخيه كليب وائل، إذ عبّرت تلك القصائد عن مفارقة إنسانية كبرى تدور حول ظلم ذوي القربى .(شبانة ،2002، ص 28) .

وإن كُنا لا نعدم وجود مصطلحات تتضمن معنى المفارقة "فقد استعملت مصطلحات أخرى حملت بدورها شيئاً من دلالات مصطلح المفارقة مثل التعريض، والتشكك، والمتشابهات، واتجاه العارف ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح " (سليمان ،199، ص22).

وأما في النقد العربي الحديث، فقد تناولت الكثير من الدراسات المفارقة الأدبية متأثرين بما جاء عن الغرب من دراسات عن طريق الترجمة، فتعرّفها الدكتورة نبيلة إبراهيم على أنها إقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ (إبراهيم، 1987، ص132)، وترى سيزا قاسم أن المفارقة " لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيدا " (قاسم ،1982، ص143) ، ويقترب الدكتور محمد العبد من هذا المفهوم والذي يرى أن المفارقة" نوع من التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر" (العبد ، 2006، ص 15)، أما ناصر شبانة فيعرفها "بأنها انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بذلك تمنح القارئ صلاحيات أوسع"(شبانة ، 2002، ص 30). المفارقة فن التعبير عن شيء من دون الإفصاح عن حقيقته، من منظور آخر تُعدُّ " المفارقة لعبة لغوية ماهرة وذكية بين الطرفين صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض معناه الحرفي وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد ، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلّا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده".(سليمان، 1999، ص46) .

بناءً على ما تقدم، يمكن القول: إن المفارقة تُعدُّ آلية أسلوبية تقوم على تضاد بين البنية السائدة للنص وثقافة المبدع الخاصة، بما تمنحه هذه الثقافة من حس مفارقاً تجاه الأشياء من حوله، يعتمد هذا الحس على خبرته وتجربته بالحياة ، عبر ما يمر به من أحداث يصور من خلالها الواقع الخارجي أو العالم النفسي الداخلي، ليكشف الحقيقة المتوارية خلف ظاهر النص الأدبي. فضلاً عن ذلك، تبرز المفارقة جانبا من التفنن الأسلوبي الذي يكشف عن قدرة المبدع على الإبداع والمراوغة الفنية في آن واحد.

في المنظور الغربي:

يعزى للأوربيين في المنظور الغربي فضل السبق في بلورة مفهوم المفارقة، والكشف عن أنواعها ومضامينها ودلالاتها، فمن أبرز نقاد الغرب الذين أولوا المفارقة اهتماماً كبيراً ، وعدَّها مصطلحاً نقدياً هو الناقد (دي. سي. ميويك)، إذ تناول مفهومها القديم عند اليونان منذ عهد سقراط وأفلاطون، متتبعاً تطورها في الآداب الغربية، ولاسيّما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وحتى منتصف القرن العشرين، وقد أورد للمفارقة مفاهيم عدة، فهي عند (كرنوب ثرلوال):" كل ما تنطوي عليها كلام الشخصية لا تعي أن كلامها يحمل إشارة مزدوجة الى الوضع كما هو عليه، وهو الوعي المختلف تماماً مما جرى كشفه للجمهور" (ميويك ،1987،ص45). بمعنى آخر أن المفارقة تحمل مستويين للغة الأول سطحي موجه غير مقصود، والثاني عميق وهو ما قصده المتكلم وأراد إيصاله .

ويعرّف (فردريك شليجل) المفارقة على أنها " إدراك حقيقة أن العالم في جوهره ينطوي على تضاد، وأن ليس غير موقف النقيض ما يقوى على إدراك كليته المتضاربة ".(ميويك ،1982، ص32).

ويرى شليجل أن" المفارقة شكل من أشكال النقيضة، والنقيضة (شرط لا بُدَّ منه)... للمفارقة ، فهي روح المفارقة ومصدرها ومبدأها .(ميويك ،1982، ص 35) .

أما صموئيل جونسون فيرى أن المفارقة هي طريقة من طرائق التعبير ، يكون المعنى فيها مناقضا أو مضادا للكلمات .(ميويك ،1987، ص40).

وقد تطور مفهوم المفارقة في النصف الأول من القرن العشرين ، وأخذت تطلق" على الأدب

الذي يجاور بين وجهات نظر مختلفة أو متعارضة لأسباب شتى، ومن دون تعليق " . (ميويك،1987، ص 41). فكلما اشتدَّ التعارض والتناقض بين الوجهات المختلفة تبدو المفارقة أكثر وضوحاً وأعمق أثراً، مما يدفع بالمفارقة إلى ذروتها الفنية والجمالية .

ويُعرّفها ميويك قائلاً أنها: " صيغة بلاغية تعبّر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد والمفارقة أخف من الهزء والسخرية لكنها أبلغ أثراً بسبب أسلوبها غير المباشر، لذلك يتطلب إدراكها ذكاء وحسا مرهفا "(ماكوين ،1990، ص95). فالمفارقة تحتاج إلى ذهن متوقد وروح ذكية من مبدع المفارقة والمتلقي على حد سواء .

عناصر المفارقة :

على الرغم من وجود تعريفات متعددة للمفارقة بحسب زاوية الرؤية التي نظر إليها كل ناقد ، بيد أنها اشتركت عموماً في عناصر عدة ، منها :(إبراهيم ، 1987، 133).

1- وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد : مستوى ظاهر غير مقصود ، وآخر باطن وهو الذي يقصده المتكلم .
2- لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلّا من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص ، يهدف من ذلك منشئ المفارقة إلى إزعاج القارئ وجعله في حالة اضطراب وقلق وتردد .
3- وجود متورط في مقلب المفارقة تلك التي تقع عليه أو بمعنى آخر (ضحية المفارقة)، ولا يشترط أن غير صاحب المفارقة ضحية المفارقة، بل قد يكون المبدع / صاحب المفارقة ضحية لمفارقته .

ومن خلال هذه العناصر تتكامل بنية المفارقة، لتغدو أداة فاعلة في إنتاج المعنى وإثارة وعي المتلقي ،عبر المفارقة بين المتوقع والواقع ، بين القول وحقيقته .

وظيفة المفارقة :

تُعدُّ المفارقة من التقنيات الأسلوبية ذات الأثر البالغ في بناء النص الأدبي، إذ تنهض بوظيفتين أساسيتين متكاملتين: الأولى فنية، والأخرى فكرية، أما الوظيفة الفنية، فتتجلى في إغناء البناء الجمالي للنص وإكسابه طرافة ودهشة، وكسر أفق التوقع لدى المتلقي، وإبعاد النص عن المباشرة والتقرير، فضلاً عما تحققه من تكثيف دلالي قائم على الجمع بين المتناقضات في العمل الأدبي .

في حين لا تُعدُّ الوظيفة الفكرية للمفارقة مجرد شكل جمالي ذا نكهة معينة فحسب، بل تنطوي على رؤية ذات طابع فلسفي يتعلق بمنظور المبدع وفكره وموقفه من العالم والأشياء المحيطة به ، وتعبّر عن وعي الأديب بالمتناقضات التي يقوم عليها الوجود، وكشفها للمتلقي عن طريق أسلوب مفارق يمنح هذه الناقضات عمقها الدلالي وبُعدها التأملي .(شبانة ،2002 ، ص30 - 31) .

وبذلك لا يقتصر دور المفارقة على البُعد الجمالي ، بل تتجاوز ذلك لتكون أداة وعي ونقد ، تجمع بين الإمتاع الفني والإضاءة الفكرية في آنٍ واحد ، لذا وصفها غوته بأنها ذرة الملح التي تجعل الطعام مقبول المذاق .(سليمان ، 1999، ص 34) ويكشف هذا الوصف عن القيمة التعبيرية للمفارقة ،إذ تغدو وسيلة فنية قادرة على منح النص حيويته وعمقه الدلالي ، بما تحدثه من تفاعل بين المتعة الجمالية والرؤية الفكرية، الأمر الذي يفسر حضورها الواسع في مختلف الأجناس الأدبية .

المفارقة في شعر دريد بن الصمة :

أدرك الشاعر العربي القديم قيمة المفارقة واستطاع أن يوظفها في نتاجه الشعري بما يتناسب مع المضامين التي تتناولها تلك النصوص الشعرية فـ " المفارقة تتغلغل في جسد تراثنا العربي ، فالشاعر العربي أدرك خصوصية الكلام الذي يراوغ فيه ويهرب من تحديد المعنى أو يقول شيئاً ويعني شيئا آخر " (إبراهيم ، د.ت ، 218).

لقد أودع الشاعر الجاهلي في منجزه الشعري خلاصة تجاربه في الحياة ونظراته المتأملة في الكون والوجود، وبما أن العقلية الجاهلية، في تمثلاتها العامة تقوم على منطق جدلي وتتسم بحالة من القلق والشك وتساؤل دائم إزاء قضايا الحياة، ولاسيّما ما

يتصل بمظاهرها الغامضة، فإن هذه الخصيصة تسهم في جعل النص الشعـري حافـلاً بالمضمرات المفارقـة، وتغـدو مدخلاً فاعلاً لاستكشاف دلالاتها وتأويل أبعادها المختلفة .(ينظر: عليمات ، 2004، 281 - 282).

وبهذا يمكن القـول: إن الشاعر العربي القديم ومنهم دريد بن الصمـة قـد أدرك قيمـة المفارقـة في شعره إدراكاً فنياً وجماليـاً ، إن لم يكن ذلك الإدراك ضمن وعي إصلاحي أو تنظير نقدي .

فقد مارس المفارقة بوصفها أداة تعبيرية وجمالية من خلال الجمع بين المتناقضات، وقلب أفق التوقع، وإحداث التباين بين ظاهر القول وباطن الدلالة بما يسهم في تعميق المعنى وإثراء الدلالة

الشعرية. وقد تجلت هذه المفارقة في أغراض شعرية متعددة، إذ أدت وظيفة فنية وفكرية، أبرزها الإيحاء والدهشة ، والنقد غير المباشر للواقع بما يدلُّ على وعي الشاعر القديم بفاعليتها الأسلوبية ، وإن غاب عنها التقعيد النظري الذي عرفه النقد الحديث .

وإذا كانت المفارقـة في إطارها النظري، تنهض على ازدواج الدلالة والتوتر بين الظاهر والمضمر، وتؤدي وظيفتيها الفنية والفكرية معاً، فإن شعر دريد بن الصمة يقدّم مجالاً خصباً لتجلي هذه التقنية في سياق تتشابك فيه تجربة الحرب والفقد وتأمل المصير الإنساني. ففي أشعاره تتجلى المفارقة من خلال وعي حاد بتناقضات الحياة والموت، والقوة والضعف والشباب والشيخوخة، بما يجعلها أداة للكشف عن رؤيته للعالم وموقفه من تقلباته .

ومن هنا يسعى هذا البحث إلى رصد مظاهر المفارقة في شعره ، وتحليل بنيتها وأثرها في تشكيل المعنى وإبراز عمق التجربة الشعرية، ومن المفارقات التي رُصِدت في شعره :

أولا : مفارقة الحياة والموت

تقوم هذه المفارقة على فكرة مبنية أساساً على التناقض بين الحياة والموت، تلك الفكرة الموجودة بصورة فطرية في عقل الإنسان منذ الأزل، ووقف عاجزا أمام هذا اللغز الغامض (الموت)، وتتعمق الخشية منه سار الزمن وتقدم بالإنسان بالعمر، موقنا أن الموت يستهدف الحياة ويضادها محاولاً الهروب منه، والانحياز إلى الحيـاة والحرص عليها؛ لأن حـبّ البقـاء هي أخص غرائز الإنسان، لذا نراه يكتفي من أمانيه بالخلود بطول الحياة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإثاره الخلود المعنوي بعد الموت في أدنى تطلع . (النعيمي ، 2010، ص 138)، فالموت يشكّل عائقاً حاسماً يعترض مسار الحياة وتطلعاتها نحو تحقيق المنجزات، إذ يغدو حداً قاطعاً يضع نهاية لفرص العمر وإمكاناته .

إنَّ هذا التضاد والتناقض بين ثنائية الحياة والموت قد ولَّد في أنفسنا موقفاً متناقضاً أيضاً، ومرجع ذلك التناقض إننا نسلم بحتمية الموت والفناء، لكننا في الوقت نفسه نكرهه ونمقته، نتوقع حدوثه في كل لحظة ، لكننا نود ونتمنى أن يتأخر، نعترف بحتميته ، وفي المقابل نحاول نسيانه ، نعترف بأنه نهاية الحياة ونظيرها الضد ، فضلا عن كونـه يمثل بداية لحياة أخرى نجهل تفاصيلها تقريبا .(عبد الخالق ،1987، 16-17).

أدرك الشاعر الجاهلي تفاصيل هذه الثنائية فحاول أن يعالج أبعادهـا بما يشبـع طموحه الإنساني المشروع، ويعبّـر في الوقت نفسه عما يختلج نفوس أبناء مجتمعه من وساوس وقلق وتطلعات وصراعات بهذا الشأن، فقـد كانت غالبيتهم محاطة بمعتقدات الديانة الوثنية، تتوخى بها تحقيق أمل يخفف وطأة الخوف، ويوفر سكينة تمتد إلى الحياة والموت معا .(النعيمي، 2010 ، ص138). لذا يسعى الشاعر الجاهلي إلى التمتع بالحياة والتلذذ بمباهجها حتى ينسى هاجس الموت والفناء .

ومن هذا المنطلق اتجه الشاعر الجاهلي إلى معالجـة ثنائية الحياة والمـوت معالجة فكرية ذات بناء فني، جمع فيها بين الرؤيتين المتعارضتين(الحياة والموت)، لتتجسد المفارقة بوصفها نقيضة قائمة على تجاور وجهتي نظر مختلفتين ومتناقضتين. (النعيمي ،2010، ص 138) .

وقد جسَّد دريد بن الصمة هذه المفارقة شعرياً، لتصبح عنصراً مركزياً في بنيته الفنية ورؤيته الفكرية . ففي داليته المشهورة التي روى فيها مقتل أخيه عبد الله عند (منعرج اللوى) ، يقول:

فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الخيلَ حَتى تَنَهْنَهَتْ	وَحَتى عَلَانِي حَالِكُ اللّوْنِ أَسْوَدِ
.....	.....
قِتَالُ امرِئٍ آسَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ	وَيَعْلَمُ أَنْ المَرءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
.....	.....
.....	.....
فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ حَياً وَمَيّتاً	وَمَنْ يَعْلُهُ رُكْنٌ مِنَ الأَرْضِ يَبْعُدِ
وَهَوَنَ وَجْدِي أَنْمَا هَوَ فَارِطٌ	أَمَامِي وَأَنِي وَارِدٌ اليَومَ أَو غَدِ

(البقاعي ،1981 ، ص 48 - 50) .

يصور الشاعر أن قتاله كان مواساة لأخيه في ساحة المعركة انطلاقا من حتمية عدم الخلود في الحياة ، وذلك بعد أن لبى نداء الإخوة وعاضد أخاه في ساحة المعركة، وهو يعلم علم اليقين أن لا خلود في هذه الحياة، منطلقاً من حتمية الموت وسطوته على كل البشر، ومما خفف من آلامه وعمّق مصيبته من أنه سيلحق أخاه اليوم أو غد.

شكّل هذا المشهد الشعري مفارقة فاصلة بين الحياة والموت، ففي البيت الثاني يصف الشاعر نفسه وهو يدافع عن أخيه الأعداء محاولاً إنقاذه من القتل، تأتي المفارقة في الشطر الثاني حينما ينتبه الشاعر ويعلن أن كل إنسان مصيره الموت والفناء، فإن كان الشطر الأول من البيت المذكور يدلُّ على حب الحياة وديمومتها، الأمر الذي يدفعه إلى استرخاص كل ما هو غالٍ ونفيسٍ، إلّا المفارقة تكمنُ في الشطر الثاني من البيت بالإقرار بحتمية الموت ، وقد قام الفعل (يعلم) بدور وظيفي في إحساس الشاعر بالمفارقة المأساوية (أن المرء غير مخلد) .

أما البيت الثالث من النص فقد استهله الشاعر بالدعاء المستحيل بأن لا يبعد الله عنه أخاه حياً وميتاً، لكن تبرز المفارقة في الشطر الثاني منه بلمحة تأمل ليكتشف فشل محاولته في تحدي الموت وإعادة أخيه الى الحياة، ليصل في النهاية الى هذا الاستسلام البائس، أي قوله :(ومن يعله ركن من الأرض يبعد)، منطلقاً من إيمان عميق بأن الموت هو النهاية التي تنتظره لتلحقه بأخيه عبد الله ، وهو ما صرَّح به في الشطر الثاني من البيت الرابع بقوله (وأني وارد اليوم أو غد) .

ومن هنا تتكشف مفارقة الحياة والموت في صورة شعرية عالية التأثير، يتداخل فيها الحزن الشخصي مع الرؤية القيمية للوجود الجاهلي ،فيتحول مقتل الأخ من حادثة فردية إلى لحظه كشف فلسفي عن معنى الحياة والفناء، وتلك مفارقة شعورية تقوم على كشف " التناقض بين الإنسان بآماله مخاوفه وأعماله وبين القدر المظلم العنيد يقدم مجالاً للكشف عن المفارقة المأساوية "(ميويك،1987، ص 33-34) تلك المفارقة التي يكون ضحيتها الإنسان /الشاعر الذي يقف أمامها عاجزاً مستسلماً من حتمية الفناء والعدم .

وقد ربط الشعراء في العصر الجاهلي بين الموت وجهل العاذل، وقلة إدراكه، كما ربطوا رفضهم للعذل بحتمية الموت، فما دام الموت واقعاً لا محالة، فلا مسوّغ للعذل واللوم ، يقول دريد بن الصمة :

أعَاذِلَ مَهْلًا بَعْضَ لَوْمَكِ واقْصِدِي	وإنْ كانَ عِلْمُ الغَيْبِ عِنْدَكِ فَارْشِدِي
أعَاذِلَتي كلُّ أمرِئٍ وابنُ أُمِّهِ	مَتَاعٌ كَزَادِ الرَّاكِبِ المُتَزوَدِ
أعَاذِلَ إنَ الرُّزْءَ في مِثْلِ خَالِدٍ	وَلَا زُادَ فِيمَا أَهْلَكَ المَرْءُ عَنْ يَدِ

(البقاعي ،1981، ص 46).

تتجلى في النص بشكل واضح مفارقة الحياة والموت، إذ يقيم الشاعر تقابلاً دلالياً بين حضور الإنسان في الحياة وبين حتمية فنائه. ففي مطلع النص يخاطب الشاعر عاذلته طالبا منها التمهل في اللوم ، مشيراً إلى أن مصير الإنسان يظلُّ متعلقاً بعلم الغيب الذي لا يملكه أحد، وفي البيت الثاني من النص يعمق الشاعر هذه الرؤية حين يشبه الإنسان في حياته بزاد المسافر، وهو تشبيه يكشف عن قصر مدة الوجود الإنساني وزواله السريع ، وهنا تبرز مفارقة واضحة بين إحساس الإنسان بديمومة الحياة وبين حقيقتها الزائلة . وتبلغ المفارقة ذروتها في البيت الثالث من النص عند حديث الشاعر عن موت (خالد)، إذ يبرز التناقض بين عظمة الإنسان ومكانته في الحياة وبين عجزه أمام الموت الذي لا يدفعه مال ولا زاد. وبذلك تتشكل في النص رؤية تؤكد أن الحياة مهما كانت عامرة بالمجد والزعامة، فإنها تظل مرحلة عابرة تنتهي بحتمية الموت الذي يسوي بين الناس جميعا .

وقد يلجأ الشاعر الجاهلي إلى قصة رمزية للتعبير عن رؤية إنسانية تجاه أحداث الكون وتفاعلات الحياة ممثلة بقصص الحيوان، وقد شكلت تلك القصص في "ثقافة الشاعر الجاهلي أداة للخروج من تصريحات اللغة المباشرة إلى الرامزة منها والمعمى ، فهو يستتر وراء هذا القناع لكي يرصد الحدث تارة ويصنع المفارقة تارة أخرى "(عليمات ،2004، 308). ومن تلك القصص الشعرية الرامزة مقطوعة بائية للشاعر دريد بن الصمة يروي فيها إحدى قصص الحيوان (قصة العقاب والثعلب)، فيقول :

تَعَلّلتُ بالشطّاءِ إذْ بَانَ صَاحِبي ... وَكلُّ امرِئٍ قَدْ بَانَ إذْ بَانَ صَاحِبُهْ

كَأَنِّي وَبَزِّي فَوْقَ فَخْتَاءَ لِقْوةٍ ... لَهَا نَاهِضٌ في وَكْرِها لَا تُجَاذِبُهْ

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ يَنْفُضُ الطَلَّ رِيشُها ... تُراقِبُ لَيْلَا مَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ

فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّيْلُ عَنْها وَأَسْفَرَتْ ... تُنفِّض حَسْرَى عَنْ أَحَصٍ مَنَاكِبُهْ

رَأَتْ ثَعْلَباً مِنْ حَرَّةٍ فَهَوَتْ لَهُ ... إلى حَرَّةٍ والموتُ عَجْلَانُ كَارِبُهْ

فَخَرَّ قَتِيلاً واسْتَمَرَّ بسَحْرِه ... وبالقَلْبِ يَدْمَى أَنفُهُ وَتَرَائِبُهْ

(البقاعي ،1981 ، ص 38).

تكشف هذه القصة عن إحساس الشاعر بالمفارقة الكامنة في الصراع بين إرادة الحياة وحتمية الموت، فقد كانت هذه الثنائية ماثلة في وعي الشاعر الجاهلي من خلال هذه القصة والتي خيم عليها شبح الموت، فالعقاب وفرخه مهددان بشبح الموت، والطريدة (الثعلب) مهدد هو الآخر ، وإن البقاء في هذا الصراع للأقوى .

إنَّ هذه المطاردة المصيرية تجسدت في الصراع من أجل الاستقرار بنعمة الحياة، إذ تنتهي هذه المواجهة بانتصار العقاب بوصفها رمزا للقوة والحياة الفاعلة والقائمة على المواجهة، بينما يرمز الثعلب إلى الخطر الكامن، أي الموت المحتمل الذي يحيط بالحياة ويهددها على الدوام، وتقوم المفارقة هنا على أن الحياة وإن غلبت بالقوة، لكن الموت حاضر دائماً ، وهو ما يمنح القصة بعدها التأملي ويحولها من مجرد حكاية حيوانية إلى رؤية وجودية تعبّر عن وعي الشاعر الجاهلي بطبيعة الصراع الإنساني مع المصير، وقد أفصح عن فكرته، وقام الشاعر بإيصال رسالته التي تتصف بالمفارقة ، بصورة واضحة بعيدة عن التشويش .(ميويك ، 1987، 17). مما يدلُّ عن وعي عميق بفكرة الموت في الشعر الجاهلي ، الأمر الذي يكشف عن مستوى النضج الفني والفكري في شعر تلك المرحلة (عصر ما قبل الإسلام).

ثانيا : المفارقة القيمية (القيم الاجتماعية والأخلاقية)

تمثل القيم الاجتماعية في المجتمع العربي قبل الإسلام بما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف الإطار الذي يتشكل فيه سلوك العرب في العصر الجاهلي، وهي وإن لم تكن منظمة دينية متكاملة، إلّا أنها عكست حاجات البيئة الصحراوية القاسية التي عاشوا فيها ، وحافظت عليه تماسك القبيلة، ذلك المجتمع الذي كانت تحكمه أعراف قبيلة صارمة ، نابعة من بيئة قاسية أفرزت منظومة قيمية جعلت الكرم، الشجاعة، الوفاء والعصبية عماد الحياة ، وجعلت منها أساس القيم السائدة في ذلك المجتمع (زيتوني، 2001، ص 185) ، في حين أسهمت العصبية القبلية في حفظ تماسك المجتمع، على الرغم مما شهده من صراعات ونزاعات، فقد كان " البناء

الاجتماعي يقوم أساسا على نظام القبيلة بوصفها وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية مستقلة ، لـم يـرَ الإنسـان العربـي فـي الأعـم الأغلب أفقاً، أوسع منها، أو انتماء بديلا عنها، وعلى الرغم من ذوبان الفرد ولاسيما الشاعر في كيان قبيلته إلّا أنه ظلَّ يمثل قوة في مجرى الأحـداث، وهـو الأصل الذي تقتضيـه طبيعـة الفـن فـي الحياة ".(النعيمي، 2010 ، ص142) .

عكس الشعر الجاهلي منظومـة القيـم الاجتماعيـة والأخلاقية السائدة في المجتمع القبلي ، فكان سجلاً حياً للتناقض القائم بين المبادئ المثالية التي تمجد الشجاعة والكرم والوفاء، وبين واقع اجتماعي تحكمه الصراعات والثأر والدفاع عن العصبية. وقـد أفرز هذا التناقض مفارقـة واضحة في بنية القيم ، إذ اجتمعت الدعوة إلى حمايـة الجار وصون الدم مع ممارسة العنف والحروب القبلية بوصفها ضرورة للحفاظ على المجد والمنزلة بين القبائل. وقد أدى هذا التداخل إلى ظهور مفارقة واضحة بين القيم التي يشاد بها أخلاقياً ، والواقـع العملي الذي تحكمه الحروب والنزاعات . وقد كان الشعر وسيلةً أساسية للتعبير عن هذا التنـاقض، إذ عكس وعي الإنسان الجاهلي بطبيعة مجتمعه وصراعاته .

ويبرز دريد بن الصمة نموذجاً دالاً على هذه المفارقة ، إذ تكشف قصائده عن شاعر يمجد البطولة والإقدام، وفـي الوقت ذاته يبدي وعياً أخلاقياً بحتمية الفقد والموت وما يخلفه الصراع من آثار إنسانية. كما اتضح ذلك في داليته المشهورة التي يرثي فيها أخاه عبد الله ، يقول :

دعـــاني أخـــي والخيـل بينـــي وبينـه	**فلمـــا دعـــاني لـــم يجـدني بقـددِ**
.....	.....
فطاعنـــتُ عنـهُ الخيـلَ حتـى تَنَهْنَهَـتْ	**وَحَتَّـــى عَـــلَانِي حَالَـكُ اللـونِ أسـودِ**
قتـــالَ امـــرئٍ آسـى أخـــاهُ بِنفسِـــهِ	**ويعلـــمُ أن المـــرءَ غيـــر مخلـــدِ**
تَنـــادُوا فقـالُوا أَرْدَتْ الخيـــلُ فارسًـا	**فقلـــتُ أعبـــدُ اللهِ ذُلُكـــمْ الـرِدِي**
فـــإن يـــكُ عبـــدُ اللهِ خلّـى مكانَـــهُ	**فمـــا كـــانَ وقافـاً ولا طـائشَ اليـــدِ**

(البقاعي ، 1981، ص 48 -49).

في هذا النص تتجسد مفارقة القيم بين تجسيد الشجاعة والبطولة من جهة ، وبين نتائجها من فقد وموت من جهـة أخـرى، فالشاعر لا يكتفي بالاحتفاء بالفروسة والإقدام ، بل يبرز أيضاً آثار المعارك القاسية على الإنسان والمجتمع، ليحول النص الشـعري إلى مساحة للتأمل في طبيعة البطولة وحدودها الأخلاقية ، ومن هذا المنطلـق تتضـح هـذه المفارقـة مـن حيث تتقـاطع نبـرة الفخـر والإقدام مع إحساس بالخسارة والفقد، فقد تمثّل بـمقتل أخيه (عبد الله)، وليس فقط النصر، فالشاعر لا يحتفي بسقوط أخيه كضعف أو تقاعس، بل يقر بأن البطولة أدت إلى فقد أخيه ، وهي نتيجة تؤلم الشاعر على الرغم من اعتبـار البطولـة قيمـة جليلـة فـي المجتمـع. وهكذا شكّلت هذه المشاعر المتضاربة المتضادة مفارقة مؤلمة بطلها وضحيتها الشاعر في آنٍ واحد .

يحتل الانتماء القبلي موقعا محوريا في شعر دريد بن الصمة، غير أن هذا الانتماء لا يقدم بوصفه قيمة منسجمة على الدوام ، بل يكشف عن مفارقة قيمية ناتجة عن التوتر بين الالتزام بالقبيلة من جهة ، والوعي الأخلاقي الفردي من جهـة أخـرى. مـن ذلـك نسمع قوله :

ولمـــا رأيـــتُ الخيـــلَ قُبْلاً كَأنهـــا	جـــرادٌ يبارى وجهـــة الريـــح مُعْتدي
أمرتهـــم أمـــري بمنعـــرجاللـــوى	فلم يستبينوا النصحَ إلا ضُحَى الغدِ
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى	غوايتهـــم وأننـــي غيـــر مهتـــدي
وهـــل أنا إلا مـــن غزيـــة إن غوت	غويـــتُ وإن ترشـــد غزيـــة أرشـــد

(البقاعي ، 1981، ص 47).

فالشاعر في هذا النص يعلن تمسكه بقبيلته (غزية) والدفاع عنها، حتى حين يدرك خطأ موقفها، من خلال رفضها لرأيه والبقاء بذات المكان (منعرج اللوى) والذي يرى فيه الشاعر مخاطرة جسيمة وخطراً محدقاً بهم، وهو ما يبرز مفارقة واضحة بين قيمة الانتماء الجماعي التي تضمن التماسك والدفاع، وقيمة الحكمة والرشد التي يدركها الشاعر، لكنه يضحي بها لصالح الجماعة (غزية)، وهنا يتحول الانتماء من رابطة أخلاقية إلى التزام قسري تفرضه طبيعة المجتمع القبلي ، وبهذا يغدو الانتماء قيمةً مزدوجة، فهو مصدر قوة وحماية من جهة، ومصدر ألم وفناء من جهة أخرى، فقد اعتمدت المفارقة في هذا النص على تقابل بين وضعين اجتماعيين ، تجلى في انقلاب دلالات الألفاظ ، مما أفضى إلى تعاكسات تقابلية ذهنية متجاورة مخزونة في ذهن المتلقي (ميويك، 1987، ص 32) .

يُعدُّ الثأر من الظواهر القيمية التي شكلت الوعي الاجتماعي في المجتمع الجاهلي، إذ ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم الشرف والكرامة، وحفظ المكانة القبلية. وقد نظر الإنسان الجاهلي إلى الثأر بوصفه واجباً أخلاقياً لا يكتمل الانتماء القبلي إلّا بأدائه، حتى غدا الامتناع عنه عاراً يلاحق الفرد والقبيلة، غير أن هذه القيمة ، على رسوخها لم تكن خالية من التعارض الداخلي، إذ انطوت على مفارقة قيمية واضحة بين حفظ الشرف من جهة، وما يخلفه الثأر من دوامة من العنف والفقد والموت من جهة أخرى .(زيتوني ،2001، ص 222،221).

وقد انعكس هذا التناقض بجلاء في الشعر الجاهلي، الذي لم يكتفِ بتصوير الثأر فعلا بطولياً، بل كشف في نصوص كثيرة عن آثاره المدمرة على الفرد والجماعة ، فالشاعر الجاهلي كان يعيش صراعاً بين إلحاح الواجب القبلي ومرارة النتائج المأساوية التي تترتب عليه، مما جعل الثأر مادة شعرية خصبة لتجسيد المفارقة بين القيمة المعلنة والواقع المؤلم .(زيتوني ، 2001، ص 222) .

ويبرز شعر دريد بن الصمة مثالاً واضحاً لهذه المفارقة القيمية ، ولاسيّما في القصائد التي قالها بعد مقتل أخيه عبدالله ، إذ يظهر التزامه بالثأر بوصفه واجبا قبليا، إلى جانب وعيه العميق بما يخلفه هذا الواجب من ألم وفقد لا يعوض. وهذا ما نسمعه في قوله :

أبا ذفافة من للخيل إذ طردت ؟ فاضطرها الطعن في وعث وإرجافِ
يا فارس الخيلِ في الهيجاء إذ شغلت كلتا اليدين كرورا غير وقافِ
عبر الفوارس معروفٌ بشكته كافٍ إذا لم يكن في كربة كافي
وقد قتلت به عبسا وإخوتها حتى شُفِيْتُ وهل قلبي به شافي ؟

(البقاعي ،1981، ص 94).

يستحضر الشاعر في النص أعلاه قيم الفروسية في رثائه لأخيه عبدالله والذي كناه ب (أبا ذفافة)، وينعى فيه فروسيته وإقدامه، وهو يدفع المصاعب عن القبيلة ، مُظهِراً مرارة الحزن والأسى لفقده، وفي البيت الرابع من النص يبين الشاعر أنه أدرك ثأر أخيه عبد الله ، وقتل من قبيلة عبس وأحلافها حتى تحقق ما يفرضه العُرف القبلي، واستعاد شرفها بحسب القيم السائدة في المجتمع الجاهلي.

غير أنَّ الشاعر، في الوقت ذاته ، يطرح في الشطر الثاني من البيت نفسه سؤالاً يحمل معنى الألم والحيرة حين يقول :(وهل قلبي به شافي) . هذا السؤال يدلُّ على أن الثأر على الرغم من تحققه، لم يخفف حزنه ولم يداوِ جراح قلبه بعد فقد أخيه .

ومن هنا تتضح المفارقة القيمية، إذ يظهر الثأر قيمةً اجتماعية مطلوبة ، لكنه يعجز عن معالجة الألم الإنساني. فالشاعر يحقق الثأر فعلاً ، لكنه يظل أسير الحزن ، فالثأر وإن كان ضرورة اجتماعية في العرف السائد، لكنه غير كافٍ لإطفاء نار الفقد. ومن هنا يتحول الرثاء من مجرد إعلان للانتقام الى مساحة للتأمل في جدوى الثأر وآثاره النفسية .

يُعدُّ الكرم من أسمى القيم التي أعتز بها المجتمع الجاهلي، إذ ارتبط بالمروءة وحفظ السمعة وعلو المكانة بين القبائل. وقد صور الكرم في الشعر الجاهلي بوصفه فضيلة أخلاقية ودليلاً على الشرف، حتى غدا البذل والعطاء علامة للفخر ووسيلة لاكتساب المجد .(زيتوني ، 2001، ص253). غير أن هذه القيمة السامية ، لم تخلُ من توتر داخلي ، كثيراً ما اصطدمت بواقع الفقر والخوف من العوز وضياع المال.

ومن هنا نشأت المفارقة القيمية في الكرم، إذ يتأرجح الشاعر الجاهلي بين تمجيد السخاء والبذل من جهة، والتحذير الضمني من نتائجه القاسية من جهة أخرى. فالكرم يرفع صاحبه اجتماعياً، لكنه قد يورثه الفقر والحاجة، مما يجعل هذه القيمة محكومة بصراع بين المثال الأخلاقي والواقع المعيشي .(يوسف ، 1989، ص 44) .

ويتجلى هذا التناقض بوضوح في شعر دريد بن الصمة، الذي قدَّم الكرم بوصفه التزاماً أخلاقياً نابعاً من الانتماء القبلي والمروءة، لا مجرد فعل عابر، غير أن شعره يكشف في الوقت نفسه عن وعي بما يترتب على هذا السخاء والبذل من تبعات، إذ يظهر الكرم قيمةً تكسب الشاعر المجد والذكر الحسن . لكنها لا تخلو من كلفة مادية ونفسية .

ويقدّم دريد بن الصمة في شعره حواراً مع العاذلة يكشف عن مفارقة قيمية واضحة، فبينما تدعوه العاذلة الى التقتير وحفظ المال يصر هو على الكرم واتلاف المال بوصفه دليلاً على الشرف والانتماء القبلي، وعندما يجتمع لوم العاذلة على الفروسية والمخاطرة بالنفس مع الكرم وبذل المال في آن واحد تتضاعف المفارقة القيمية ، وفي هذا السياق يقول دريد بن الصمة :

أعاذلَ كَم نَارِ حربٍ غَشيتُها ... وَكَمْ لي من يومٍ أغرُّ محجلِ

وإن تسألي الأقوام عني فإنني ... لمشركٌ مَالي فَدُونكِ فاسألي

وإني لعفٌ عن مطاعم تتقى ... ومكرمُ نفسي عن دنياتِ مأكلِ

وما إن كسبتُ المالَ إلّا لبذلِهِ ... لطارِقِ لَيلٍ أو لِعَانٍ مُكَبّلِ

(البقاعي ، 1981، ص 96).

فالعاذلة في النص أعلاه لا تعترض على سلوك واحد للشاعر، بل تعارض منظومة القيم التي يقوم عليها وجود الشاعر الجاهلي كله، إذ تحذره من الإقدام لما فيه من تعريض النفس للهلاك، وتلومه في الوقت نفسه على البذل لما فيه من إهدار للمال .

وفي مقابل هذا الصوت التحذيري ، يتمسك الشاعر بقيمتي الفروسية والكرم معا ، بوصفهما أساسي الشرف والمكانة القبلية، فالمخاطرة بالنفس في ساحة القتال تمنح الشاعر المجد البطولة ، كما أن البذل والسخاء يمنحانه الذكر الحسن بين قومه. إلّا أن هاتين القيمتين تقودان إلى نتائج قاسية تتمثل في الموت أو الفقر، وهو ما تذكره العاذلة وتسعى إلى التنبيه إليه .

وتتجلى المفارقة القيمية، إذ يفضل الشاعر المخاطرة بالنفس والمال من أجل القيم المعنوية والاجتماعية، على السلامة المادية والجسدية، مما يجعل لوم العاذلة وسيلة فنية تكشف عمق الصراع القيمي في شعره .

ثالثا : المفارقة الوجدانية

احتلت المرأة مكانة متميزة في حياه الإنسان الجاهلي، ولاسيّما الشعراء منهم، إذ لا يكاد يخلو ديواناً من دواوينهم من الإشارة إلى المرأة ، وإبراز محاسنها والتشبيب بها بوصفها عنصراً فعالاً في وجدانهم وأحاسيسهم وحافزا مهما تستثار من خلاله عواطفهم وتستدر قرائهم الشعرية، فكان الدافع النفسي المؤثر في حياتهم على مر العصور الأزمان والعصور ، تنحو فيه المرأة منحىً من الرمزية والحاجة والإيحاء والتجسيد والمعاناة على مرّ الأزمان والعصور. يؤدي غياب المرأة عن حياة الشاعر دوراً أكبر في تحفيز الإبداع الشعري مقارنة بحضورها ، فهي ملهمة الشعراء عنفاً وثورةً في ساحات الحرب ، وحبا ورقة في لحظات الاستقرار النفسي .

إنَّ ما يكابده الشعراء من شدة الوجد، والشهرة بمودة النساء، والانجذاب نحو المرأة ، والتشوق لمقابلتها، يدخل ضمن باب المفارقة الوجدانية، التي تتشكل دلالاتها في استحضار الدوافع النفسية للشاعر بهدف الوصول الى توازن نفسي معين. لذلك يعد الغزل أحد أبرز المجالات التي تتجلى فيها هذه المفارقة ، فهو بيئة خصبة لظهور المفارقة الوجدانية؛ لأنه يجمع بين الرغبات العاطفية الصادقة والقيود الاجتماعية والأخلاقية ، ما يعكس صراع الشاعر بين المشاعر الداخلية والالتزامات القيمية ، ويتيح له التعبير عن التوتر النفسي بأسلوب شعري غني بالدلالات.(النعيمي،2010 ، ص148).

تتجلى المفارقة الوجدانية في شعر دريد بن الصمة بوضوح حين تتدخل المرأة في النصوص ـ على الرغم من قلتها ـ سواء كحبيبة أو شخصية تمثل العاطفة والرقة. فالشاعر يعيش صراعاً داخلياً بين المشاعر الإنسانية تجاه المرأة وبين الواجبات القبلية والقيم الأخلاقية ، إذ تتقاطع العاطفة مع تلك الواجبات ، ويصبح الشاعر مضطرا لموازنة مشاعره مع قيم مجتمعه، وهو ما يتضح في النص الآتي ، يقول :

ألا أبلغْ وشاةَ النَّاسِ أنّي	أكُونُ لَهُمْ عَلى نَفْسِي دَليلا
بأنّي قد تركتُ وصالَ	وَبدلَ ودُّها عندي
هندٍ	ذُهُولا
فإن اتِ الذي تهَوْن مِنْها	فَقَدْ عَاصَيْتُها زمناً طَويلا
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي	إذا طَرَدَ السَفَا هَيْفاً نَصُولا

(البقاعي ، 1981، ص 100- 101).

يكشف هذا النص عن مفارقة وجدانية جلية، تقوم على الصراع بين العاطفة والقيم التي يلتزم بها الشاعر. فهو يوجه كلامه إلى وشاة القوم ليؤكد لهم أنه ترك وصال هند بإرادته، لا ضعفاً، وجعل من هذا الحرمان دليلاً على قوته وضبطه لنفسه .

ويظهر التناقض الوجداني حين يصرّح الشاعر باسم (هند) ، مما يدلُّ على حضورها في وجدانه، ثم يعلن في الوقت نفسه تركها ونسيان مودتها . فذكره المرأة (هند) يكشف عن استمرار الأثر العاطفي ، بينما القطيعة يعكس تغليب القيم الاجتماعية على الميل الوجداني، تلك المفارقة التي قوامها الأساس التباين بين الحقيقة والمظهر.

كما يبرز الشاعر نفسه بوصفه قادراً على مقاومة الهوى كما يقاوم الأعداء في ساحة الحرب، فيربط بين الشجاعة في المعركة والقوة النفسية. وهنا تتجلى المفارقة في اجتماع الإحساس العاطفي تجاه المرأة مع الصلابة والامتناع ، وهو ما يمنح النص بعد نفسيا ودلالة فنية واضحة .

وفي نص آخر يجمع الشاعر فيه بين الحب العميق والاشتياق وبين عوائق الواقع والحرب التي تمنع الوصال ، مما يبرز توتره النفسي وصراعه الداخلي ، يقول :

أمن ذكر سلمى ماء عينك يهمل	**كما انهل خرز من شعيب مشلشل**
وماذا ترجي السلامة بعدما	**نأت حقب وأبيض منها المرجَّل**
وحالت عوادي الحرب بيني وبينها	**وحرب تَعِل الموت صرفا وتنهل**

(البقاعي ، 1981 ، ص 102).

يعكس هذا النص شعوراً وجدانياً مركباً يقوم على اجتماع الحب العميق والاشتياق الشديد مع القيود الخارجية القاسية التي تمنع تحقيق الوصال. يعبّر الشاعر عن شدة تعلقه بـ(سلمى)، مستعيناً بصور شعرية قوية تشبه شدة الحنين بانهمار الماء من العين ، ما يدل على أثر الحب العميق في نفسه، وعلى الرغم من هذا الإحساس والعاطفة الجيّاشة، يبرز النص استحالة اللقاء والارتباط بسبب بعد المسافات ومرور الزمن وحلول المشيب ، وكذلك عوائق الحرب والموت التي تحول بينه وبين محبوبته، وهو ما يولّد

صراعاً داخلياً بين الرغبة القلبية وواقع الحياة القاسي، فالمفارقة الوجدانية هنا تكمنُ في التضاد بين قوة الحب العاطفي والعجز عن التعبير عنها أو تحقيقها .

كما تتجلى المفارقة الوجدانية في شعر دريد بن الصمة بوضوح في موقفه من الحزن على الفقد ، ولاسيّما على فقد أخيه عبدالله ،إذ يجتمع في تجربته الشعورية الألم العميق والأسى مع الدعوة الى كبح جماح العاطفة والإفراط في مظاهر الحزن، ويتجسد في النص الآتي :

تقــولُ ألا تبكـي أخـــاك ، وقـــد أرى ... مكـــان البُكـا، لكـــن بنُيـتُ علـى الصَّـبرِ
فقلـــتُ : أعبـد الله أبكـــي أم الـذي ... لَـــهُ الجـــدثُ الأعلـــى قتيلُ أبـــي بكرِ
وعبـــدَ يغـــوثٍ تحجـلُ الطيـرُ حولـهُ ... وعـزَّ المصـابُ حثـــوَ قبـــرٍ علـــى قبـر
أبـــى القتـــلُ إلّا آلِ صمـــةَ إنْهُـمْ ... أبَـــوْا غيـــرَهُ والَقـــدَرُ يجـري الـى القـدر

(البقاعي ، 1981 ، ص 63 - 64).

يعكس هذا النص موقف الشاعر من فقدِ أخيه (عبد الله) والمصيبة التي ألمّت به، مجسداً صراعاً داخلياً بين العاطفة والواجب، والحزن الشخصي وما يشعر به المجتمع. يبدأ النص باستفهام موجه من المرأة العاذلة إلى الشاعر، يحمل في طياته اللوم والحث على البكاء على أخيه القتيل (عبد الله)، مقراً بوجود أسبابه حين يقول: " وقد أرى مكان البكا "معترفا بعمق الفقد والحزن. لكن الشاعر يختار الصبر على البكاء(لكن بنيت على الصبر) ، ما يعكس المفارقة الوجدانية بين الرغبة الطبيعية في البكاء والالتزام بالضبط النفسي والشجاعة. ويقف الشاعر متردداً بين البكاء على أخيه عبدالله أو الحزن على المصيبة الكبرى التي ألمت ببقية أخوته (قتيل أبي بكر، عبد يغوث) ، كما يصور النص الطير الساكن حول قبر عبد يغوث رمزاً للحزن والفقد، ويعكس الجو الكئيب الذي يحيط بالموتى ، فيما يؤكد البيت الأخير من النص على استحالة تغيير القدر على الرغم من إرادة الإنسان ، ما يبرز مفارقة ثانية في النص بين الإرادة البشرية والقدر المحتوم ، فعلامَ البكاء ؟ وما جدواه ؟.

وبهذا جمع النص بين الصورة الشعرية الدقيقة والعمق النفسي ، والتأمل الفلسفي في الحياة والموت والمصاب ، ليعكس تجربة وجدانية متكاملة، غنية بالمفارقات والتناقضات الإنسانية .

رابعا : المفارقة الزمنية (تجربة الشيخوخة)

إنَّ الحديث عن تجربة الشيخوخة وما يتركه من ألم وحزن عميق في وجدان الشاعر وحياته الراهنة لا ينفصل فيها الشاعر الحديث عما أمضاه في فتوته وشبابه. لذا شكل موضوع الشباب والشيب موضوعاً واحداً، يحاول فيه الشاعر استرجاع صورة الماضي المفقود والعودة إلى أيام الشباب المفعمة بالبهجة ولذة الحياة ، فالشيب فعل تدميري لعنفوان الشاعر وشبابه، فإذا به يقف على أعتاب عمر خارت قواه واندثرت أيامه، نراه يجد في ذكرياته ومغامرات شبابه يقاوم فيها مظاهر الوهن والشيخوخة التي يعجز فيها عن تحقيق ذاته . (يوسف ،1988، ص 100)، وشتان مـــا بيـــن الشيخوخة ومتاعبها، والشباب وحيويته. إذ " إن الذات المنكفئة والوعي المتقلص فـ الشيخوخة لدى الشاعر يحملان معهما حصاد تجربة وقطاف عمر ونتاج دراية بالأمور". (ريكان إبراهيم ، 1989، ص154).

لم يقتصر الخوف من الشيخوخة ومن آثارها على الشاعر وحده ، بل هو شعور جمعي عند الإنسان الجاهلي الذي يرى أن كل خطوة يخطوها على درب العمر تقربه من لحده ، لذا فقد عكست فترة الشيخوخة القدرة التدميرية لفعل الزمن وقسوته، كما كشفت عن صراع نفسي بين حب الحياة والخوف من الموت المحتوم . (ريكان إبراهيم ،1989ص 154) .

وعندما يبدأ الشاعر بالحديث عن تجربتيّ الشباب والشيب، ويقدّم خلاصة تجربته، إذ " تكون الذات المجروحة في الشاعر الشيخ هي محصلة تجربته وبتلك الذات يرثي تراثا ويترحم على ماضٍ ويصف كآبة أرذل العمر "(ريكان إبراهيم ، 1989 ، ص 154) .

تقوم المفارقة الزمنية في الشعر الجاهلي على المقابلة بين زمن الشباب وزمن الشيب، فالشباب يمثل القوة والحيوية والقدرة على الفعل، في حين يرمز الشيب الى الضعف وتراجع القوة واقتراب النهاية. ويستحضر الشاعر ماضية المشرق ليقارن بينه وبين حاضره المؤلم ، فتتولد المفارقة من هذا التناقض الزمني. وفي شعر دريد بن الصمة تظهر هذه المفارقة بوضوح، إذ يعبّر عن حسرة الشباب حين يواجه شيبه بعد أن كان شابا فارساً مقداماً ، فيشعر أن الزمن قد سلبه مكانته ودوره، فتتحول المقارنة بين الماضي والحاضر الى إحساس عميق بالفقد والأسى . ويتضح هذا المعنى في النص الآتي :

فإن يكُ رأسي كالثغامةِ نسلُهُ ... يُطِيفُ بيَ الولدانُ أحدبَ كالقردِ

رهينةَ قعرِ البيتِ كُلَّ عَشيةٍ ... كأنّي أوارى أنْ أُصوَّبَ في مَهْدِ

فمن بعد فضلٍ في شبابٍ وقوةٍ ... ورأسٍ أثيثٍ حالكِ اللونِ مُسْوَدِ

فقد أبعثُ الوجناءَ يَدْمى أظُلُها ... على ظَهْرِ سَبْسَابٍ كحاشيةِ البُرْدِ

(البقاعي ، 1981، ص54) .

يجسّد الشاعر في النص أعلاه مفارقة زمنية واضحة تقوم على التقابل بين حاله في زمن الشيب وحاله في زمن الشباب ، إذ يفتتح النص بتصوير رأسه وقد اشتعل شيباً، فغدا مثار سخرية الصبيان وهم يطوفون به كالقرد، بعد أن كان رمز الهيبة والقوة ، في إشارة إلى الانكسار الاجتماعي الذي يرافق الشيخوخة. ويعمق الشاعر هذه المفارقة حين يصوّر نفسه رهين البيت، عاجزاً عن الحركة، كأنما يوارى حياً، وهو تصوير يكشف قسوة التحول الذي أحدثه الزمن في الشاعر، ويتقاطع هذا المعنى مع قوله تعالى: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً (سورة الروم، الآية: 54).** وللهروب من هذا الواقع المؤلم يستدعي الشاعر ماضيه البطولي ليقابل به حاضره المؤلم ، فيذكر ما كان عليه من قوة وشباب وشَعَر أسود كثيف، ومن قدرة على ركوب الخيل وقطع الفيافي، فينشأ التناقض بين زمن الفعل والإنجاز وزمن العجز والانكفاء . فالزمن الذي منحه القوة والشباب هو نفسه الذي سلبه إياها في شيبه ، فغدا الزمن رمزا للفقد والانكسار، وفي التحول الزمني هذا تتجلى مفارقة قدرية بأقسى صورها من خلال تجربته الواقعية، التي قدّم فيها الشاعر نوع من مفارقة الكشف عن الذات (ميويك، 1983، ص 49) .

وفي إحدى قصائده الشعرية يستهل دريد بن الصمة مواجهة الشيب بإبراز فروسيته وشجاعته، بوصفه فارسا صقلته الحروب وخبر ميادينها ، وكأن في هذا الاستحضار تعويضاً نفسياً عن عمق الألم الذي تخلفه الشيخوخة ، يقول : (الديوان ، 127).

قطعتُ من الدّهرِ عمرًا طويلًا ... وأفنيت جيلًا وأبقت جيلا

وهذبني الشيبُ حتى عَرفْتُ ... أمان الصديق بلوتُ الخليلا

وشبتُ وما شابَ رَأسي وما ... رأى الضعفُ نحو جَنَابي سَبيلا

ولا بْتُ إلّا وَظهرَ الجوادِ ... مقيلي إذا مَلَّ غيري المقيلا

(البقاعي ، 1981، ص 127).

يجسّد الشاعر الفارس دريد بن الصمة في هذا النص مفارقة زمنية تقوم على التضاد بين تقدم العمر وثبات الروح القتالية ، إذ يقر الشاعر بأنه قطع عمراً طويلاً وأفنى أجيالاً في ساحات القتال والمنازلة، في اعتراف صريح بمرور الزمن وثقله، غير أن هذا الإقرار لا يقود إلى الاستسلام، بل إلى تأكيد النضج الذي منحه الشيب، إذ صار أكثر خبرة بوجوه الناس ومكامن الأمان في الصداقة.

وتبرز المفارقة حين يفصل الشاعر بين شيب الرأس وعدم شيخوخة العزيمة ، فيؤكد أن الضعف لم يجد إليه سبيلاً ، وأنه ما يزال ملازماً صهوة الجواد حين يعجز غيره ، فيتحول الزمن من عنصر إضعاف جسدي إلى عامل صقل معنوي. وهنا تقوم المفارقة الزمنية في النص على التعارض بين ظاهر العمر وباطن القوة ، إذ يشيخ الجسد بينما تظل الإرادة شابة فاعلة .

خامسا : المفارقة الحدثية والواقعية

المفارقة الحدثية هي "انقلاب يحدث مع مرور الزمن" (ميويك، 1983، ص 147)، يظهر عادة في حدث غير متوقع لا يطرأ إلا في نهاية العمل الفني . ينعكس هذا الانقلاب على مسار الأحداث ، فيقلب موازين الأشياء، ويباغت المتلقي والشخصيات، كما يحدد شخصية الضحية ومصيرها ،ويبرز التعارض بين ما كان متوقعا وما يحدث فعليا .(حنان عكو، 2013، ص 223).

تتجلى المفارقة الحدثية في وجود ضحية غير واعية، تجهل حقيقة ما تقوم به من أفعال غير مدركة لما قد يترتب عليها في المستقبل ،إذ تتحقق هذه المفارقة عندما ينشأ تناقض أو تعارض بين ما تؤمن به الضحية وما يمكن أن تؤول إليه الأحداث لاحقاً، اعتماداً على ثقة تعضد موقفها وتشد أزرها. غير أن تسارع مجريات الأمور يقلب توقعاتها، فيفضي ذلك إلى خيبة أمل مؤلمة ، وبذلك تمتلك مفارقة الأحداث قدرة فاعلة في إطار الزمن عبر الكشف عن المسافة بين الحاضر وما يحمله المستقبل من نتائج غير متوقعة (الإبراهيمي، 2019، ص 102،101) وإن" إغراق الضحية بمخاوف معينة أو آمال أو توقعات بحيث يتصرف على خلاف أساسها المعروف ويتخذ خطوات ليتجنب شرا متوقعا أو يفيد من خبر منتظر، لكن أفعاله لا تؤدي إلا إلى حصره في سلسلة من الأسباب تؤدي به إلى سقوطه المحتوم " (ميويك ، 1987، ص 212)، كما أن للأحداث دوراً بارزاً في تحقق هذه المفارقة، إذ تنشأ من حالة الجهل التي تعيشها الضحية بما يجري حولها ، في مقابل وعي المتلقي بما ستؤول إليه الأحداث . فتبدو الضحية واثقة بما يحمله المستقبل، غير مدركة لما يحمله الزمن من نتائج مغايرة لتوقعاتها .(ميويك ،1983، ص 64). ومن هنا يتجلى التباين بين وعي المتلقي وجهل الشخصية، وهو ما يوقع الضحية في مفارقة الأحداث ويكشف أثر الزمن في بنائها الدلالي . (الإبراهيمي ،2019، ص 102).

وتنطبق هذه الرؤية على شعر دريد بن الصمة، إذ تتجلى المفارقة الحدثية في عدد من نصوصه التي ارتبطت بسياق الحرب والبطولة ، فالشاعر يقدم صورة الفارس الواثق من قوته وخبرته في ميادين القتال، غير أن مجريات الزمن وما يحمله من تحولات تكشف واقعاً مختلفاً عن ثقته، وهنا تتولد المفارقة من التباين بين ما يعلنه الشاعر من بأس وشجاعة، وبين ما يدركه المتلقي من أن الزمن والموت قادران على تقويض تلك القوة ، وبذلك تتخذ المفارقة الحدثية في شعره بُعداً مأساوياً ، إذ تكشف عن صراع خفي بين قيم البطولة التي يحتفي بها الشاعر وبين المصير الإنساني المحتوم ، يقول :

وقلتُ لعارضٍ وَأَصْحَابِ ... ورهطِ بَني السوداءِ والقَوْمُ شُهَّدي
عَارِضِ علانيةً ظُنُّوا ... سَرَاتُهُمْ في الفَارِسِّي المُسَرَّدِ
بأَلفي مُدَجْجِ ... .
..... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الغَدِ
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... غَوَايَتَهُمْ وأَنَّني غَيْرُ مُهْتَدِي
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى ... غَوَيْتُ وإنْ تَرْشَدْ غَزِيَّةُ أَرْشَدِ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةِ إنْ غَوَتْ ... . فقلت
..... أعبد الله ذلكم الرَّدِي
فتنادوا فقالوا أردتْ الخيلُ فارسًا

(البقاعي ، 1981، ص 46 - 49).

يصوّر الشاعر في هذا النص موقفاً حرجاً سبق مقتل أخيه عبد الله، إذ يعلن أمام قومه رأيه صراحة ، وينصحهم بالحذر وعدم التسرع في القتال عند منعرج اللوى، لما يدركه من خطورة الوضع. غير أن القوم يخالفون نصيحته ، ويمضون في قرارهم والبقاء في الموضع المذكور (منعرج اللوى) ، فيجد الشاعر نفسه ممزقا بين قناعته العقلية التي ترى في هذا الفعل غواية ، وبين

التزامه القبلي الذي يجعله يسير مع قومه رغم علمه بخطئهم . وتكمن المفارقة الحدثية في أن الشاعر يدرك نتيجة هذا العصيان، بينما يجهل القوم عواقبه، في حين يدرك المتلقي ـ بحكم معرفته بما سيؤول إليه الأمر ـ أن هذا القرار سيقود الى الهزيمة ومقتل عبد الله .

وهكذا يتحول صوت الحكمة في النص إلى نذير مأساوي لا يملك القدرة على تغيير المصير، فتتضاعف الدلالة الدرامية ويتعمق الإحساس بالفقد والهزيمة .

ومن النصوص التي تكشف البُعد الدرامي في شعر دريد بن الصمة قصيدته الميمية التي يروي فيها مشهداً قصصياً لواقعة ثأر بين ثمامة بن المستنير السلمي ومعاوية بن الحارث الجشمي، تقوم تلك القصيدة على التوتر والترقب وينتهي ذلك المشهد بمأساة مشتركة ، يقول :

لَعَمُـركَ مـا آسَى حِراضُ ابِنَ أُمّهِ ... على النصفِ مِنْ شَطْرِ الكَلَاءةِ قائِمُ
تَطَاوَلَ حَرْبُ اللَّيْلِ عَنْ قَدْرِ ظَنُّهُ ... فَنَـامَ وَهَـذَا آمِـنُ الفَتـْكَ نَائِمُ
فَيَـا خُطْـةَ رَانَتْ عَليكَ وَنَى لَها ... يَدِبُّ إليـهِ السَّبْـعُ يَخْتُلُ ظِلـّهُ تُمَامَـةُ يَرْعَاهَا عَلى السَّيـفِ جَاثِـمُ
فَأَمكـنَ حَدُّ السَّيْفِ مَرْجِعَ خَصْمِهِ ... فَآبَ إلـى جَيْبٍ نَصِيحٍ فَلَامَـهُ وَفـي كَفِّـهِ صَافِي الحَدِيَـدةِ صَـارِمُ
فَقَـالَ لَهُ عُدَّ تُشْفَ نَفْساً وَلَا تَكُنْ ... فَقَلَدَهُ لَمْـا تَبَيَّـنَ شَخْصَـهُ وَكَرّ يُسَاوِي الخَطْـوَ والشَخْصُ قَائِمُ
فَمَاتَـا صَرِيعَيْ غِرَةٍ، وَلَمَنْ سَعَـى ... وَمِـنْ سُرَرِ الجَيْـبِ النَصِيحُ المـلَاوِمُ
عَلـى ظِنَّـةٍ مِنْهـا وللحَـزْمِ لَائِـمُ
بضَرْبَـةِ ثَـأرٍ لَـمْ تَخُنْهـا العَزَائِـمُ إلى المَـوْتِ لَمْ تُنْظَمُ عَلَيـهِ التَمائِمُ

(البقاعي ، 1981 ، 108 - 109) .

يعرض الشاعر في هذا النص قصة ثأر بين رجلين في إطار من الترقب والمباغتة ، مما يعكس طبيعة الحياة القبلية القائمة على العصبية والثأر. يبدأ الشاعر بتصوير حالة من الاطمئنان والغفلة، إذ يظن أحد الرجلين أنه في أمان (حراض) ، فينام مطمئناً بعد أن قدر أن الخطر بعيد عنه، غير أن هذا الأمان ظاهري؛ لأن خصمه (ثمامة) كان يترصده في صمت، متحفزا بسيفه، لكنه ينتظر اللحظة الحاسمة للانقضاض .إذ تتشكل هنا نواة المفارقة ، فالنوم في موضع الخطر يولد توقعاً طبيعياً بالهلاك لأن الحذر غائب والتهديد قائم. ويصور الشاعر لحظة الهجوم تصويراً حيَّاً ، حيث يتمكن المنتقم من قتل خصمه بضربة سيف حاسمة ، فيتحقق مطلب الأخذ بالثأر الذي يمثّل قيمة عليا بالمجتمع الجاهلي .

لا يحسم النص الصراع لصالح طرف محدد ، بل تتطور الأحداث إلى مواجهة مباشرة تنتهي بمقتل الرجلين معا ، فتتحول البطولة الى مأساة ، ويغدو الثأر طريقا الى الفناء .

يقوم النص على مفارقة حدثية تتجلى بوضوح في التعارض بين التوقع والنتيجة ، إذ يمهد الشاعر لتوقع هلاك الشخصية بسبب غفلتها ونومها في موضع الخطر "فنام وهذا أمن الفتك نائم" في مقابل خصم متأهب للهجوم ، مما يجعل النتيجة محسومة ، غير أن مسار الحدث ينحرف حين يؤدي السعي للثأر إلى مقتل الطرفين معا "فماتا صريعي غرة "، وهو ما يخالف أفق التوقع القائم على نجاة أحدهما (الغافل والمهاجم) ، وبذلك تتحقق المفارقة الحدثية في انقلاب نتيجة الصراع بفناء الطرفين ،مما منح النص بُعداً مأساوياً يكشف عن عبثية الصراع وعجز الإنسان عن الإفلات من مصيره "ولمن سعى إلى الموت لم تنظم عليه التمائم".

.

الخاتِمة :

جاءت هذه الدراسة للوقوف على تقنية المفارقة في شعر دريد بن الصمة الجشمي عبر وسائط تشكلها والمجلات الموضوعية والفكرية التي تطرقت إليها المفارقة، وفي ضوء ما تقدم من تحليل لنصوص من شعره، أن المفارقة لم تكن عنصرا عارضا في شعره، بل شكلت محورا بنائيا انتظمت حوله تجربته الشعرية . فقد جاءت المفارقة أداة للكشف عن رؤيته للحياة وتقلباتها ، وعن وعيه العميق بثنائية الوجود بين القوة والزوال ، والمجد والفقد، ومن يمكن إجمال أبرز النتائج التي خلصت اليه هذه الدراسة ، لعل أبرزها :

1- يُعدُّ مصطلح المفارقة من المصطلحات الغربية الحديثة، لم يعرفه النقد العربي القديم، ولم يرد في الدراسات النقدية الحديثة إلّا عن طريق الترجمة .

2- تكمنُ المفارقة في قول الشيء والإيحاء بنقيضه، وهي تدلُّ على معنيين أو أكثر ومعرفتها تكون عن طريق استنطاق سياقات النصوص، والكشف عن العلاقات الخفية والتوتر الدلالي الكامن فيها.

3- تؤدي المفارقة دوراً مهماً في إثارة انتباه المتلقي للوصول إلى المعاني والدلالات القابعة خلف النص، التي هي مرام الشاعر أو الكاتب ومقصده .

4 - ينطلق فهم المفارقة وتحليلها من ثقافة واسعة وإلمام عميق بالسياقات اللغوية والفكرية التي تحكم النص، وعلى المتلقي أن يقوم بمهمة فك شفرات نص المفارقة ، فإن عجــز عن ذلك يصبح ضحية المفارقة ، فهي تستدعي قارئًا فطنا وواعيا بحقيقة مــا يقرأ.

5 - يتبين من خلال تتبع شعر دريد بن الصمة أن المفارقة لم تكن مجرد أسلوب بلاغي عابر ، بل كانت رؤية فكرية عميقة تعكس تجربته الحياتية وموقفه من الزمن والحرب والموت، وقد تجلت عبر ثنائيات متقابلة أبرزها الحياة والموت، الشباب والشيخوخة ، النصر والهزيمة ، القوة والضعف ، وقد كشفت هذه الثنائيات عن وعي الشاعر بحقيقة التحول وتقلب الأيام .

6 - أسهمت المفارقة في تعميق البُعد الدرامي في نصوصه ، إذ كثيراً ما يعبّر عن الألم بروح الفارس المعتد بنفسه ، أو يستحضر المجد في لحظة انكسار، مما يخلق توتراً دلالياً مؤثراً .

وبهذا يمكن القول أن المفارقة في شعرة شكلت بنية فكرية وجمالية ، أسهمت في إبراز خصوصية تجربته الشعرية ومكانته الشعرية بين شعراء الجاهلية .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- إبراهيم ، نبيلة. (1987) .المفارقة . مجلة فصول ، المجلد السابع ، العدد 3 - 4.

- الإبراهيمي ، كرار عبد الإله عبد الكاظم .(2019).المفارقة في شعر أبي نواس ، دمشق ،دار أمل الجديدة.
- البقاعي ، محمد خير.(1981) . ديوان دريد بن الصمة الجشمي .(د.م) ، دار قتيبة .
- حنان عكو . (2013) . أنماط المفارقة في الشعر الجاهلي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب ، سورية .
- ريكان إبراهيم .(1989) . الشعر من منظور نفسي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة .
- زيتوني ، عبد الغني أحمد .(2001) . الإنسان في الشعر الجاهلي ، أبو ظبي - الإمارات ، مركز زايد للتراث والتاريخ .
- سليمان ،خالد .(1999) .الأدب والمفارقة ،عمّان ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع .
- شبانة ،ناصر .(2002) . المفارقة في الشعر العربي الحديث ، بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- العبد ، محمد . (2006) . المفارقة القرآنية ، ط 2، القاهرة ، مكتبة الآداب .
- عبد الخالق ، أحمد محمد.(1990) . قلق الموت ، عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- عليمات ،يوسف .(2004) . جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا ، ط1 ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- عمر ، أحمد مختار . (2008) . معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. م، عالم الكتب .
- قاسم ، سيزا.(1982) . المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول ، المجلد الثاني، العدد (2).
- ماكوين .جون .(1990) . الترميز، ترجمة :عبد الواحد لؤلؤة ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر.
- المصري ، ابن منظور.(1992) . لسان العرب ، ط1 ، بيروت ، دار صادر.
- ميويك ، دي .سي .(1983) . المفارقة . ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة النقد الأدبي، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر .
- ميوميك ، دي .سي .(1987) . المفارقة وصفاتها . ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة النقد الأدبي ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر.
- النعيمي ، د. أحمد إسماعيل .(2010) .المفارقة ..رؤية شعرية وصيغة بلاغية . في كتاب الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية .. وآفاقه الإبداعية ، (135 - 183) . بيروت ، الدار العربية للموسوعات .
- يوسف، حسني عبد الجليل . (1988) . الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ،القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع .
- يوسف ، حسني عبد الجليل .(1989) . العذل في الشعر الجاهلي، القاهرة ، مكتبة الآداب.

Sources and References

The Holy Qur'an.

- Ibrahim, Nabila. (1987). "Irony." *Fusul Journal*, Cairo, Vol. 7, Issues 3–4.

- Al-Ibrahimi, Karrar Abdulilah Abdul-Kadhim. (2019). *Irony in the Poetry of Abu Nuwas*. Damascus: Dar Amal Al-Jadida.
- Al-Biqa‘i, Muhammad Khair. (1981). *Diwan of Duraid ibn al-Simmah al-Jushami*. N.p.: Dar Qutaybah.
- Akko, Hanan. (2013). *Patterns of Irony in Pre-Islamic Poetry*. Unpublished PhD Dissertation, University of Aleppo, Syria.
- Ibrahim, Rikan. (1989). *Poetry from a Psychological Perspective*. Baghdad: Dar al-Shu’un al-Thaqafiyya al-‘Amma.
- Zaitouni, Abdulghani Ahmad. (2001). *The Human Being in Pre-Islamic Poetry*. Abu Dhabi, UAE: Zayed Center for Heritage and History.
- Suleiman, Khalid. (1999). *Literature and Irony*. Amman: Dar Al-Shorouk for Printing, Publishing and Distribution.
- Shabana, Nasser. (2002). *Irony in Modern Arabic Poetry*. Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing.
- Qasim, Siza. (1982). “Irony in the Contemporary Arabic Short Story.” *Fusul Journal*, Cairo, Vol. 2, No. 2.
- Abdel-Khaliq, Ahmad Muhammad. (1990). *Death Anxiety*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters (World of Knowledge Series).
- Al-Abd, Muhammad. (2006). *Qur’anic Irony* (2nd ed.). Cairo: Maktabat al-Adab.
- Omar, Ahmad Mukhtar. (2008). *Dictionary of Contemporary Arabic*. N.p.: Alam al-Kutub.
- Alimat, Yusuf. (2004). *Aesthetics of Cultural Analysis: Pre-Islamic Poetry as a Model* (1st ed.). Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing.
- McQueen, John. (1990). *Symbolism*. Translated by Abdul الواحد Lu’lu’a. Baghdad: Dar al-Ma’mun for Translation and Publishing.
- Ibn Manzur. (1992). *Lisan al-‘Arab* (1st ed.). Beirut: Dar Sadir.
- Muecke, D. C. (1983). *Irony*. Translated by Abdulwahid Lu’lu’a. *Encyclopedia of Literary Criticism*. Baghdad: Dar al-Ma’mun for Translation and Publishing.
- Muecke, D. C. (1987). *Irony and Its Aspects*. Translated by Abdulwahid Lu’lu’a. *Encyclopedia of Literary Criticism*. Baghdad: Dar al-Ma’mun for Translation and Publishing.
- Al-Nuaimi, Ahmad Ismail. (2010). “Irony as a Poetic Vision and a Rhetorical Form.” In *Pre-Islamic Poetry: Its Intellectual Foundations and Creative Horizons* (pp. 135–183). Beirut: Arab House of Encyclopedias.
- Yusuf, Husni Abduljalil. (1988). *Man and Time in Pre-Islamic Poetry*. Cairo: Egyptian Renaissance Library for Publishing and Printing.
- Yusuf, Husni Abduljalil. (1989). *Elegy in Pre-Islamic Poetry*. Cairo: Maktabat al-Adab.